

مزاياء قواعد اللغة العربية وخصائصها

فوجي رهايو

الجامعة نهضة العلماء للإسلام كوتا بومي

Email: puji.rahayuzati@gmail.com

Abstract

Arabic language has special features and specifications through others language in this world. Firstly, there are the largest number of arabic vocabullaries. Secondly, a word / a vocabullary could be some meanings or many different meaning while it put to the different sentences. Thirdly, Arabic is a phonetic language, which means letters corresond to sounds. While this is true of many languages to a certain extent, Arabic is unique in that there aren't group of letters creating completly unguessable sound. This means anyone who knows the arabic letters, the sounds they make and the short vowel marking can "sound out" every word. Many other language, in contrast, has many spellings that do not correspond to individual letter sounds, as in the word rough. For this reason, arabic spelling might be considered easier than that many languages, including Indonesian and English.

Keyword: Arabic, language, and vocabulary

الملخص

ليس مصطلح المزايا ولا الخصائص ولا نسبتهما إلى لغة القرآن وهي اللغة العربية بالشيء الجديد الذي يمكن أن ينسبهما أحد المحدثين إلى نفسه، فقد ورد هذا المصطلح فيما كتبه السلف في اللغة العربية وفي اللغة ذاتها على حد سواء. فهم يتحدثون عن نظم اللغة العربية، ومتن اللغة، فأحسنوا الأقوال والآراء حول المزايا هنا وهناك، وفي الخصائص هذه وتلك. ولأن الأول لم يتخلل الآخر شيئاً كان ذلك في مثابة الإقناع للرأي العام والكلام من حيث النشاط العلمي بالإعجاب بما وصل إليه المتقدمون من علماء اللغة، وهو إعجاب لا يقدر

على مجده على أي حال، ولكن أبواب النظر العلمي تظل مفتوحة على مصراعيها لمن شاء أن يلج، وما يزال ميدان اللغة العربية مترامي الأطراف، حافلا باحتمالات العطاء لكل من يندب نفسه للغامرة الفكرية في شتى شعابها ومختلف فروعها وشتات أشكالها.

أ - مقدمة

إن اللغة هي أصوات يعبر بها الناس عن أغراضهم في حياتهم . فهي وسيلة الفرد من الوسائل للتعبير ما خطر في أفكاره . وبها يقضى حاجاته وينفذ مطالبه ويحقق مآربه في المجتمع الذي يحيا فيه .^١ وكما عرفنا أن اللغة العربية من اللغات السامية الحية . فهي تعتبر من حيث التشابه في النطق والألفاظ والصرف وتركيب الجملة من فصيلة اللغات السامية، وهي تشمل اللغات السامية الشمالية التي تتكون من اللغات الأكادية والآشورية البابلية واللغة الكنعانية أو العبرية الفينيقية واللغة الآرامية، واللغات السامية الجنوبية التي تتكون من اللغات العربية واليمينية القديمة والحديثة.

من هنا كان بعض المعلومات التي سوف أورد هنا في هذه السطور العاجلة هي تحديث لفكرة قديمة ولكنها ثابتة وسائرة، بحيث كان بعضها الآخر إنشاء وتقوية لفكرة لم يتناولها السلف الصالح من أهل اللغة، استعنت أنا للوصول إليها بالسير في أضواء علم اللغة الحديث .^٢

ب - مزايا قواعد اللغة العربية وخصائصها

كلمة العربية بنية جامعة مانعة شأنها كشأن أية لغة، وهذا يعني أنها غنية بنفسها عما سواها، فلها من أصولها وقواعدها ومعجمها ما يتيح لها أن تكون أداة للتوصل بين الناس، دون اللجوء إلى أصل أو قاعدة من أية لغة أخرى وأما كونها مانعة حيث أنها ترفض قبول هذه العناصر التي لا تحتاج إليها العربية وذلك بكمال ذاتها، فهي ترفض إضافة أقسام الكلم فيها،

^١ محمود أحمد السيد، في طرائق تدريس اللغة العربية، (دمشق، جامعة دمشق)، ١٩٧٣، ص ١٩٠.

^٢ تمام حسان «خصائص العربية» مقال منشور في مجلة اليقظة عدد ١٥ سنة ١٩٨٩م، ص ١٧ .

^٣ المصدر السابق ص ١٩.

فوجي رهايو : مزايا قواعد اللغة العربية وخصائصها

أو إلى ضمائها أو إلى أدواتها أو قواعدها أمرا جديدا . وعلى سبيل المثال تمنع العربية تقديم النعت على المنعوت ، وأن تستخدم في الجملة الاسمية فعلا مساعدا ، وهكذا . إذا حدث مثل هذه الواقعة فتحطمت البنية العربية ، ولم تعد النتيجة صالحة لأن توصف هذه « بالعربية » ، وخير دليل على ذلك وجود الوقائع والحقائق عند العربية العامية بوصفها « عربية » ، لاختلاف البنية فيها عن البنية في العربية الفصحى من ناحية انعدام ظاهرة الإعراب في العاميات ، وألقي عبء الكشف عن المعنى النحوي على الرتبة والمطابقة ونحوها من القرائن اللفظية أو المعنوية أو الحالية .

وهذه البنية العربية نظام كلي ، مكون من أنظمة فرعية على مثل ما هو معروف عند جسم الإنسان حيث فيه جهاز أكبر مكون من أجهزة فرعية كالجهاز الهضمي ، والجهاز النفسي ، والجهاز العصبي ، والجهاز التناسلي وإلى ذلك من هذه الأجهزة التي أودعها الخالق تعالى للإنسان ، بحيث يتضاف بعضها البعض بأداء الوظائف الخاصة التي يصل الجسم الإنساني بمجموعها إلى التوازن الحيوي المنشود . وهذه الأجهزة الفرعية ليست فيها حرية مطلقة لأحدها بوجود خاص ، ولا يسوغ تناول أي واحد منها على حدة إلا إرادة البيان والتفسير في سياق تشریح ، أو ما يسمى بـ « فسيولوجي » . أما في واقع الحياة فإن فضل واحد منها عن غيره يقضي على البنية كلها ، فيموت الإنسان بما فقد من وظيفة حيوية كانت لهذا الجهاز الفرعي .

كذلك الشأن للغة العربية التي تمثل نظاما مشتملا ومتكاملا على أنظمة فرعية كنظام الأصوات ، ونظام المقاطع ، ونظام النبر ، ونظام التنغيم ، ونظام المباني الصرفية ، والإعراب ، والمطابقات ، والروابط ، والرتب ، والافتقار ، والاختصاص ، والتنافي والوارد وهلم جرا^٤ . رغم هذا فإن بنية العربية بطبيعة الحال تختلف عن بنية الجسم الإنساني من ناحية السمة الدرجية التي تبدو عليها أنظمتها الفرعية . فليس من الممكن الحديث عن وظائف جهاز لجسم الإنسان دون ذكر جهاز آخر ، أو ذكر وظيفة ما لهذا الجهاز الآخر ، كالحديث عن الجهاز الإفراسي يقتضي الكلام حول

^٤ توفيق الشاوي «أسس النحو العربي» مكتبة جامعة الرياض ، ط ١ ، ١٣٩٨هـ ، ص ٢٥

^٥ تمام حسان «العربية مبناها ومعناها» مطبعة جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ ، ص ٥

وظائف الجهاز الهضمي، كما يقضي الكلام في الجهاز الهضمي تتاولا فيما يخص الوظائف الدورية، والعصية وهكذا، فليس هناك أفضل من غيره دون آخر .

أما العربية فلا غنى إرادة البحث في بنيتها عن البدء بالنظام الصوتي، لأنه الأساس الذي يبنى عليه الكلام في كل نظام غيره، كنظام المقاطع، أو المباني الصرفية، أو الإعراب . على حين يمكن تناول النظام الصوتي دون الاضطرار إلى الإشارة إلى أي من هذه الأنظمة، وكذلك يبنى على أساس نظام المقاطع ويعني ذلك تطرق الكلام في النبر والتنغيم، ويستغني نظام المقاطع في علاجه عن التفكير في النبر والتنغيم . وينبغي على التفكير في المباني الصرفية كل كلام في النحو، ولكن الصرف عكس ذلك ففي فهمه مستغن عن حقائق النحو . وتأتي ضرورة النظام الصرفي للتفكير في النحو بحيث أن التحولا بد من أن يمهده له بالصرف، فيبدأ الكلام فيه بأقسام الكلم وبيان الصيغ، ومعانيها الصرفية كأفعال الطلب، والصيرورة والمطاوعة . وقد يحدد النحو شروطا صرفية خاصة لبعض أبوابه، مثال ذلك: يجعل المفعول المطلق مصدرا من مادة الفعل مثل: (أشكرك شكر اجزىلا)، بينما يجعل المفعول لأجله مصدرا من غير مادة الفعل مثال ذلك (جئت إلى هذه الجامعة تطوعا)، والحال مشتقة (وصل علي إلى سمارانج راكب الحافلة)، والتمييز جامدا (الحج واجب على كل من يستطيع إليه سيلا)، والفاعل بعد الفعل المبني للمعلوم، ونائبه بعد الفعل المبني للمجهول . وهكذا يصبح الصرف أسبق درجة من النحو . بجانب ذلك إن معظم القرائن النحوية تملك طابعا صرفيا، فالمعاني التي تجري عليها المطابقات هي معان صرفية وليست نحوية (كالتكلم [أنا ونحن]، والخطاب [أنت أنتما أنتم]، والغيبة [هو، هي، هما، هم، هن]) والإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث والتعريف والتكثير . والوسائل التي يتم بها الربط لأواصر الكلام هي وسائل صرفية تنتمي إلى تقسيم الكلام كالضمائر والإشارات والأدوات، ولا يبقى من قرائن النحو ما يتجاوز المسرح الصرفي^٦.

وعلى فهم النحو وبصحة التركيب، يبنى الكلام في المعنى الدلالي العام للسياق، والنظر في أمور المناسبة البيانية، وفي نفس الوقت يستغني النظر النحوي عن هذا المعنى الدلالي وتلك المناسبة

^٦ محمد الطنطاوي «نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة» عالم الكويت، ١٤٢٠هـ، ص ٥٠

^٧ د / تمام حسان «أسس النحو العربي» ص ٧٣ .

اليانية، فيمكن للنحو على هذه الحال أن يبارك جملة تعني عكس الواقع والحقيقة مثل: (السماء تحتنا، والأرض فوقنا، أو يسقط فلان من الأسفل إلى الأعلى)، فيتصدى النحولاً عراب هذه الجمل وينسب كل كلمة من كلماتها إلى معنى نحوي ما، كالأبتداء والخبرية والفاعلية وما إلى ذلك، ولكن هذه الجمل والعبارات تفتقر إلى المناسبة اليانية، فلا يمكن قبولها لما بين عناصرها من مفارقات معجمية أي وجود الفروق المعنوية، جعلت الأقدمين من النحاة يصفونها بـ «الإحالة» أي التعارض مع المعهود والمعقول أو كليهما معاً.

ج- جانب الاقتصاد والإيجاز

قد تتناهى الألفاظ والأنماط التركيبية ولكن المعاني لا تتناهى المعاني، ومن ثم يصبح على اللغة العربية تعبير القليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي، فإن تحقق لها ذلك فقد تحقق لها الاقتصاد والإيجاز والاختصار بذاتها. وقد عمدت العربية إلى اصطناع بعض الوسائل التي تمكنها من تحقيق هذه الخاصية والميزة، ومن أبرز هذه الوسائل تعدد المعنى للمبني الواحد في النقل، وكلاهما يتحقق في النحو كما يتحقق في المعجم، وفيما يلي بيان ذلك بالترتيب التالي:

١. فيما يتعلق بالألفاظ والأنماط وكثرة المعاني، فأولى باللفظ أو النمط الواحد نسب إلى عدد من المعاني، وهذا قد تحقق فعلاً في النحو بواسطة معاني الصيغ ومعاني الأدوات. لنأخذ أمثلة من تصريفات الأوزان والألفاظ كيف تنسب المعاني المتعددة إلى الصيغة الواحدة كأن يصلح وزن [استفعل] للطلب ك: استخرج يعني طلب الخروج، وللصيرورة ك: استخرج أي صار الشيء حجراً، ولا اعتقاد الشيء على صفة ما ك: استصغ، وللبطاوعة ك: استقام، وللا تخاذ ك: استشعر، ولحكاية الشيء ك: استرجع، ولقوة العيب ك: استهتر، وللاستحقاق ك: استحصد. وكأن تصلح كلمة [تفعل] للبطاوعة ك: تكسر، وللصيرورة ك: تحجر، وللا تخاذ ك: توسد، وللتدرج ك: تجرع، وللتكلف ك: تصبر، وهلم جرا^٨. فهناك تعدد المعاني النحوية للأدوات كما رآه ابن هشام في كتابه

^٨ المصدر السابق ص ٢٠

«مغني اللبيب» وآخرون . تصلح [ما] للنفي والموصولية والتعجب والمصدرية الظرفية والشرط والزيادة والإبهام، كأن تصلح [إن] للشرط والنفي والتخفيف من الثقيلة أي التأكيد والزيادة، وكأن تكون [اللام الجارة] / حرف الجر[صالحة لعدد من المعاني، كما تصلح للأمر أيضاً، مما يكشف عن تعدد معنى العناصر الصرفية والنحوية . أما من ناحية تعدد المعاني المعجمية فقد يكون لكل كلمة مفردة عدد من شتى المعاني بحسب سياق الجمل والعبارات، على سبيل المثال كلمة «ضرب» فلها عدة المعاني بحسب الجمل التالية [ضرب سوبرمان جوكو-ضرب الله مثلاً-ضرب له موعدا-ضرب له قبة-ضرب في الأرض-ضرب خمسة في ستة-ضرب النقود-ضرب على العود-ضرب التلغاز] . لهذه الكلمة «ضرب» عدة المعاني التي تشير إلى خاصية الاقتصاد والإيجاز في العربية^٢.

٢ . فيما يخص الحيلة التي تحتل بها العربية على مواجهة تناهي الألفاظ والأنماط، وعدم تناهي المعاني، فهي ظاهرة «النقل» الظاهرة أيضاً في النحو والمعجم . ولقد بهر علماء النحو حيث أنهم نقلوا العلم المنقول عن الفعلية، مثل [يزيد]، أو الوصفية مثل [صالح]، أو المصدرية مثل [نصر] إلى غير ذلك . وأشاروا إلى التمييز المنقول عن الفاعل مثل : [طاب محمد نفساً]، وعن المفعول نحو زرع الأرض شجراً . كما فطنوا إلى نقل نمط التركيب الخبري إلى معنى الدعاء، ونقل التركيب الاستفهامي إلى الإنكار أو التقرير أو العرض أو التخصيص، ولكنهم كذلك طبقوا ظاهرة النقل دون إشارة إلى هذا المصطلح في حالات أخرى، كقولهم في ما التعجبية: إن أصلها الاستفهام وقد أشربت معنى التعجب [أي نقلت إلى التعجب]، وكدعواهما اسمية بعض أدوات الشرط والاستفهام، وكجعلهما الضمير أداة فصل في القول: محمد هو قائم^٣.

غير أن ظاهرة النقل في النحو أوسع انتشاراً من ذلك، ولكن المقام لا يتسع هنا لبسط القول فيها، فمن ذلك أن الاسم المبهم ينقل إلى معنى الظرفية، نحو: يوم الجمعة أمام

^٢ عبد الواحد وافي «النحو والصرف وأصولهما» مكتبة فرزدق، ١٩٨٧م، ص ٣٥

^٣ تمام حسان «المصدر السابق» ص ٤٥

المسجد، فيسمى ظرفاً منصرفاً، وينقل المصدر إلى معنى اسم المفعول نحو: هذا من نسج الخيال، ومعنى اسم الفاعل كقوله تعالى ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾، وإلى معنى فعل الأمر مثل: ضرباً زيدا، وإلى الدعاء مثل: اللهم غفراً، وإلى الإفصاح كأن تحيي إنساناً [سلاماً] وينقل اسم الجنس إلى الوصفية كمثّل: [هذا رجل] أي متصف بالرجولة، واسم الشخص إلى صفة مثل [حاتم الجود] أو [مأمون العصر الحديث] أو ينقل اسم العلم أو الكنية أو اللقب إلى اسم جنس نحو [قضية ولا أباً حسن لها]، هذا بالنسبة لنقل الاسم. أما الوصف فقد ينقل إلى العملية مثل: صالح وأحمد، ومحمد ومحمود، وينقل التفضيل منه إلى التعجب بإيراده بعد «ما»، فيقال: [ما أحسن هذا]، وينقل وزن فعيل إلى معنى فاعل كـ [قدير]، أو مفعول كـ: [قتيل]، أو ينقل إلى استعمال الفعل مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ١٢٤ [لله أعلم حيث يجعل رسالته] أي الله يعلم، وأما الفعل فقد ينقل إلى العملية مثل: يزيد ويشكر، أو ينقل إلى أداة نسخ نحو [كان محمد قائماً] أو ينقل المتعدي منه إلى اللزوم كقوله تعالى الملك: ١٩ [أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن] أو ينقل اللازم منه إلى التعدية كقول علي رضي الله عنه [إن بشراً قد طلع اليمن]، وقد تنقل الإشارة إلى الظرفية مثل: [اجلس هنا]، أو ينقل الضمير إلى التحذير نحو [إياك والكسل]، أو ينقل ضمير الشخص إلى الإشارة نحو قوله تعالى في آل عمران: ١٨٠ ﴿ولا يحسبن الذين يخولون بما آتاهم الله من فضله هـ خيراً لهم﴾ أي «هذا البخل خير لهم». وقد ينقل الظرف إلى الشرطية نحو قوله تعالى في البقرة: ١١٥ [فأينما تولوا فثم وجه الله]، أو الاستفهام: أين وفاء؟ أو الإفصاح مثل: دونك هذا. أما الأدوات فقد اشتهر أن بعضها يحل محل البعض، وينوب بعضها عن البعض، كما أن الأدوات قد تتحول إلى الإفصاح مثل: عليكم أنفسكم. وهكذا يتناول النحاة بعض مظاهر النقل تحت «مصطلح النقل»، وبعضها تحت «الإشراب» وبعضها تحت «النيابة» كما في الأدوات، ذلك هو النقل في النحو، وأما النقل في المعجم فهو ما يسمى بالمجاز، فالمجاز «نقل» بحكم التعريف، لأنه نقل اللفظ من معناه

الحقيقي إلى معنى آخر ليس له بحكم وضعه^{١٢}، وذلك عن طريق علاقة فنية تربط بين اللفظ ومدلوله المجازي، وقرينة تمنع أي توهم لأن يكون المدلول المجازي مفصودا على الحقيقة.

وإذا كان اللفظ المفرد منسوباً إلى المعجم فإنه صح أن يكون النقل معجمياً، وهذا الصدد في تناول علم البيان ويعني ذلك العلاقة والربط بين السبب والمسبب ثراً أن هناك شيئاً سمي بالمجاز ويأتي مجاز مرسل في أربع الحالات الأول، ولغوي في الحالة الأخيرة. وكل ذلك مفصل في علم البيان.

٣. من مظاهر الاقتصاد والإيجاز في العربية غير ما تقدم ميلها إلى التركيز، ويتجلى ذلك في الأمور التالية:

(أ) نبذ استعمال الأفعال المساعدة في التعبير عن علاقة الإسناد في الجملة الاسمية، لأن العربية تفضل أن تعبر عن هذه العلاقة بقرائن أخرى، كرفع المبتدأ والخبر، وتعريف المبتدأ إلا عند أمن اللبس، وتقديمه على الخبر إلا أن يدعو إلى عكس ذلك داع من المعنى، مثل في المسجد مصلون، أو من المبنى مثل: أين يوبون؟ أو في الدار صاحبها.

(ب) ويظهر التركيز أيضاً في الإضمار بالمعنيين وهما: الأول هو المعنى الذي يكون فيه الإضمار ضد الذكر، والثاني هو المعنى الذي يكون معه ضد الإظهار. فأما المعنى الذي يجعل الإضمار ضد الذكر فيتجلى في أمور كثيرة منها إضمار الأدوات في مواضع بعينها، كإضمار «أن» بعد اللام، ونزع الخافض، وإضمار الفعل في كل موضع يحتمل المعنى فيه فعلاً لا يظهر أبداً. وقد عبر النحاة عن هذا الموضع من الإضمار بعبارة «وجوب الحذف» ولكنها مصطلح غير دقيق، وذلك لأن ذكر لفظ «الحذف» يوهم أن المحذوف كان ثابتاً في الجملة ثم أزيل منها وجوباً، وذلك واضح البطلان، وهذا يعني أن الإضمار ووجوب الحذف

^{١٢} تمام محسان «العربية مبناها ومعناها» ص ٢٤

فوجي رهايو : مزايا قواعد اللغة العربية وخصائصها

متساويان في فهم علماء النحو بأحد معاني الإضمار . ليكون ما ذكره واضحاً ننظر إلى المثال عبارة معروفة: [أهلاً وسهلاً]، فالأسمان منصوبان بفعلين أو بفعلين محذوفين وجوبا، تقديرهما أي كأن الجملة [قصدت أهلاً وحللت سهلاً] . وأما بمعنى «ضد الإظهار» فالمقصود هو قيام الضمير مقام الاسم الظاهر، ولكن هناك شرطاً أن يكون بين الضمير ومرجعه تطابق معجمي، وتطابق إشاري . ومثال آخر: [كان لي صديق وفقدت صديقاً]، فين اللفظين ﴿الصديق﴾ تطابق معجمي لأن معناها يلتبس تحت مدخل واحد ولفظها متحد الصورة . فإذا كان لفظ الصديق الإني هو نفسه الصديق الأول فيكفي الإضمار فتكون العبارة: [كان لي صديق وفقدته]^{١٢}، أو تلحق به أَل التعريف وتضيفه إلى الياء أي [وفقدت الصديق المذكور] . ومثال آخر حذف في بسم الله الرحمن الرحيم أي أبدأ بسم الله الخ . ويجري التمثيل في الحوار التالي:

من عندكما ؟ أحمد والمحذوف «عندنا»

كيف هشام ؟ . . . دنف . والمحذوف «هشام» .

والقرينة في المثالين المذكورين قد سبق ذكرها، لأن «عند» ذكرت في السؤال الأول بخذفت في جوابه، بينما «هشام» ذكر في السؤال الثاني فحذف في جوابه . وكذا تحذف الضمائر عند الربط بها إذا أمن الشك واللبس اعتماداً على وضوح المرجع نحو: هذا هو الكتاب الذي قرأت، وقد يختص الفعل بمفعول معين، فيحذف هذا المفعول لوضوحه، هذا كما ورد في قوله تعالى القصص: ٢٣٠ ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون . . . ووجد من دونهم امرأتين تذودان . . . قال ما خطبكما ؟ قالت لا نسقي . . . حتى يصدر الرعاء . . . وأبونا شيخ كبير فسقى لهما . . .﴾ ، كل ذلك من وسائل التركيز، ومنها أيضاً استأثر ضمائر الرفع، اعتماداً على المطابقة التي بين الفعل ومرجع الضمير . وإذا كان المثال «علي

^{١٢} عبد الواحد وافي «النحو الوافي» مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ١١

قام» فإن إسناد الفعل إلى المفرد المذكور الغائب يجعله خالصال علي، حتى ليصبح ذكر الضمير إطنابا، فلا يبدو إلا عند إرادة التوكيد به، أو العطف عليه. ومما يتجلى به التركيز قابلية التلخيص والتحويل، وهي مما كشفت عنه الدراسات الحديثة في مجال اللغة.

ومما أشار إليه القدماء تلخيص الكلام بواسطة العدول عن ذكر ما يسلم المعنى بتقديره، ويدعوا لفهم السليم إلى هذا التقدير. ومن ذلك تقدير معايير يعبر المعنى عليها في آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى في التوبة: ٣٥ ﴿يَوْمَ يَحْصِي عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُورٌ بِهِاجِبَاهُمْ وَجَنُوبُهُمْ وظهورهم. هذا ما كثره لآ نفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ فين جزئي الآية، وفي مكان النقط، لا بد من تقدير جملة، مثل: «يقال لهم» ومثله ما يقدر في قوله تعالى في يوسف: ٤٦ ﴿أَنَا أَنبُوكَ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون... يوسف أيها الصديق أفننا﴾، والتقدير هنا في هذه الآية: [فأرسلوه فأتاه فقال له]، وأيضا أشار القدماء إلى ماسموه بالحذف البياني، وهو حذف لا تتطلبه صناعة النحو ولكنه يقتضيه المعنى، كما ورد في قوله تعالى في يوسف: ٨٢ ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ والمراد واسأل أهل القرية، وعبارة (هذه سياسة البيت الأبيض)، أو (عدوان الكرملين على أفغانستان)، فعناصر الجملة فيها متوفرة، ومن ثم لم يكن الحذف هنا نحويا، ولكن المعنى متضمن «أهل القرية»، «رئيس البيت الأبيض»، «قادة الكرملين»^{١٤}. أما ما كشفت عنه الدراسات الحديثة، ولم يشتمل عليه كلام القدماء، فهو تلخيص البنية الملفوظة (السطحية) للبنية الملحوظة (العميقة)، فالبنية الملفوظة في عبارة قول الرسول صلى الله عليه وسلم المتضمنة البيانات الملحوظة التالية:

(١) هناك رسول

(٢) الرسول من عند الله

^{١٤} المصدر السابق ص ١٥

(٣) أنا أدعو الله

(٤) يصلي الله على الرسول

(٥) يسلم الله على الرسول

(٦) الرسول قال .

هذه التركيبات الملحوظة (القضية الضمنية) تلخصها العبارة الواحدة الملفوظة وتعد ممثلة لها بالتحويل عنها. وهكذا يكون التركيز بكل مظاهره السابقة مظهر من مظاهر خاصية الاقتصاد والإيجاز في العربية .

٤ . إمكانية الاستغناء بالأصناف عن المفردات مظهر اقتصادي فيها، ويتضح في هذه القضية أمران أحدهما التصنيف والثاني التععيد. والذي يراد بالتصنيف هنا تحديد الأصناف أي الأبواب، وبينما يقصد بالتععيد هنا تجريد القواعد. وتكون طريقة جمع التصنيف بواسطة رصد العلاقات والروابط الوفاقية والخلافية بين المفردات، إذ تعين العلاقات الوفاقية على توحيد ما توافق من المفردات تحت نوع واحد، وتعين العلاقات الخلافية على التفريق بين صنف وصنف ولون وآخر^{١٥}، فإذا وصل البحث إلى تحديد الأصناف أمكن كشف الملاحظة والبحث عنها على سلوك الأصناف للوصول إلى إنشاء القواعد، ولم تكن القواعد غير التعبير عن النمط السلوكي للصنف، فالفاعل وهو صنف مثلاً يطرد فيه أن يكون اسماً، ويجب أن يكون مرفوعاً وأن يسبقه الفعل المبني للمعلوم، ويدل على من فعل الفعل أو قام به الفعل. وكل من هذه الأمور المطردة قاعدة قائمة وثابتة بذاتها، وبهذا يتضح الأمر أن الطابع الاقتصادي للاعتماد على الأصناف والقواعد، حيث لو أن الدارسين لم يعتمدوا على القاعدة لكانوا محتاجين إلى البيان التفصيلي عند إدارة التعبير عن رفع الفعل بالبحر إلى الكلام في المفردات، ولزموا أيضاً إيراد كل اسم بذاته يرد فاعلاً كأن يقولوا: أحمد من قام [أحمد مرفوع] ومحمد من خرج [محمد مرفوع] ونادية من وصلت [نادية مرفوع]

^{١٥} تمام حسان «خصائص العربية» مقال منشور في البقعة ص ٣٩

وهكذا حتى نورد كل اسم مرفوع وقع فاعلا في استعمال اللغة . ولكن ذلك بفضل هذا الطابع الاقتصادي في العربية نستغني عن هذا التعب والعناء . أي «الفاعل مرفوع، قاعدة أساسية ثابتة تصدق ملزومة على أحمد ومحمد ونادية» كما هو في المثال السابق وكذلك اسم وقع فاعلا في الاستعمال .

٥ . تجلي الاقتصاد في بنية العربية طلب الحققة، أو ما يسمى في الدراسات الحديثة :

ب «الاقتصاد في الجهد» وهذا يعتبر أساسا لبعض الظواهر الصياغية في تناول موضوعات العربية [كالتأليف، والإدغام، والمناسبة الصوتية، والإعلال والإبدال، والتخلص من التقاء الساكنين] وغير ذلك . ويسر الكتابة في هذا البحث أن يورد بيانا تفصيليا حول الاقتصاد والإيجاز في المناسبة الصوتية:

(أ) بناء الفعل الماضي على الضم لمناسبة «و» الجماعة (فَتَحُّوا)

(ب) تحريك عين / «ع» المضارع المسند إلى «و» الجماعة بالضم في جميع حالاته الإعرابية حتى مع النصب والجزم (يَدْخُلُونَ)

(ت) تحريك «ل» / لام صيغة الأمر بالضم عند إسناده إلى حرف «و» (ليُخْرِجُوا)

(ث) تحريك لام الفعل المضارع المسند إلى ياء المخاطبة بالكسر لمناسبة «ي» في جميع الحالات (لِتَأْكُلِي)

(ج) كسر «ل» / لام فعل الأمر عند إسناده إلى ياء المخاطبة لمناسبة حرف «ي» (لِتَجْلِسِي)

(ح) تحريك كل ذلك بالفتحة لمناسبة حرف «ا»

(خ) ما يعرف عند النحويين باسم «إعراب الجوار»

(د) الإتيان على اللفظ دون المحل

(ذ) الإمالة عنصر المناسبة

فوجي رهايو : مزاي اقواعد اللغة العربية وخصائصها

- (ر) ضم حرف «هـ» في يضره، له، وكسر هاء في به
(ز) تفخيم حرف «ل» في والله، وترقيقها في بالله ١٦.

د- مراوغة اللبس

تواجه اللغة العربية الكثير من المعاني النحوية بالقدر القليل من الأدلة والبراهين والقرائن اللفظية وهي ثماني (٨) قرائن [البنية - الإعراب - المطالعة - الربط - الرتبة - التضام - الأداة - النغمة]. وهذا الطابع الاقتصادي في العربية بحيث يفتح الطريق أمام تسلسل ظاهرة اللبس /، كما تواجه العربية أيضا العديد من العلاقات النحوية بالعدد القليل من صور التضام كالموصوف وصفته، والمضاف والمضاف إليه، والحال وصاحبه، والمميز والتميز. وإذا كثرت المعاني وقلت وسائل التعبير عنها أصبح المعنى عرضة للتعدد بالنسبة للمبني الواحد، وإذا التكن هناك قرينة من لفظ أو معنى أو حال تعين أحد المعاني المحتملة، فذلك هو اللبس. واللغات كلها عرضة لللبس، ولكن اللغة العربية وحدها دون المبالغة على لسان البليغ المصطفى صلى الله عليه وسلم قادرة على مراوغة اللبس.

هـ- خاتمة

لقد نسبت إلى اللغة العربية في هذا البحث المتواضع مجموعة من المزايا وطائفة من الخصائص وكأنها تنفرد بها، فلا يشاركها فيها غيرها من اللغات، ولكن بعض هذه الخصائص وشيء من تلك المزايا مائل كذلك عند لغات أخرى، كترج الأنظمة والميل إلى الاقتصاد والإيجاز والاختصار غير أن وسائل العربية مخالفة عن وسائل اللغات الأخرى لتحقيق هذه الخصائص وتلك المزايا، ولعلها في بعض الحالات أن العربية أكفأ من اللغات الأخرى بسبب هذه الوسائل. وتوصل إلى النتائج التالية: (١) للعربية نظمها ومتنها، (٢) كلمة العربية

^{١٦} المصدر السابق ص ٤١

بنية جامعة وممانعة، (٣) درجة التنظيم في آية لغة شيء ضروري، (٤) للعربية اقتصاد وإيجاز واختصار، (٥) اقتصاد العربية وإيجازها ميزتها وخصايصة قواعدها.

المراجع

تمام حسان.، العربية مبناها ومعناها ط. ١، مكة المكرمة: مطبعة جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ

____.، خصائص العربية، مقال منشور في مجلة اليقظة، عدد ١٥ سنة ١٩٨٩م.

توفيق الشاوي، أسس النحو العربي، ط. ١، الرياض: مكتبة جامعة الرياض، ١٣٩٤هـ.

السيد، محمود أحمد، في طرائق تدريس اللغة العربية، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٧٣.

صبيحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ط. ٣، القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٨٨

عبدالواحد وافي، النحو الوافي، ط. ٢، القاهرة: مكتبة الانجلو، ١٩٨٩.

____، النحو والصرف وأصولهما، القاهرة: مكتبة فرزدق، ١٩٨٧.

القرآن الكريم .

محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، عالم الكويت، ١٤٢٠هـ.